Revolution and Rebellion In AL- Zahawee Poetry

Lecturer Nejat Alwan AL Kinani
College of Education
Basra University

Abstract:

The factors that lay behind Al-Zahawee's rebellion were his sensitivity and his renewed revolutionary spirit rejecting the past. Further more, the type of era during which he was living and the political and social changes and events had an influence over him.

The society was principally responsible for his mutiny, besides the political transformitions which had great impacts on his mentality and personality. The purposes of his revolt against his socity were to accomplish rformation equality as well as to stand up for women.

He did not become stable on a particular situation concorning the political and social cases since there were a lot of opponents and because he was dismissed from his job besides his disappointment about those leaders and rulers who were continually fluctuating in their decisions.

His revolt against the old poetry and his demand for adopting blank verse put him with the level of those poets who called for developing and reviving Arabic verse in an attempt to be free from an inactivity and stagnation that reflect traditional themes.

الثورة والتمرد في شعر الزهاوي

م.نجـاة علـوان الكنـــاني
كليـــة التربية/جامعة البصرة

الملخص :

إن من الأسباب التي كمنت وراء تمرد الزهاوي، هي حساسية الشاعر ورقة شعوره وروحه الثورية المتجددة والرافضة لكل قديم، وقد كان للحقبة الزمنية التي عاش فيها، وما تبعها من تغيرات وأحداث سياسية واجتماعية أثر في ذلك.

لقد كان المجتمع هو المسؤول بالدرجة الأساس عن تمرد الزهاوي، فضلا عن التحولات السياسية التي كان لها الدور الفعال في التأثير على نفسيته، وان تمرده على مجتمعه كان بدافع إصلاحه ومناصرة منه للمرأة ورغبته في التساوي بين جميع أفراد المجتمع.

والزهاوي في تمرده لم يثبت على موقف معين في القضايا الاجتماعية والسياسية، وذلك بسبب كثرة الخصوم وفقده لوظيفته، فضلاً عن تغير موقف الحكام أنفسهم وخيبة أمله فيهم.

وإن تمرده على الشعر القديم ودعوته إلى تبني الشعر المرسل، يجعله في مصاف الشعراء الداعين إلى نهضة الشعر العربي وتطوره وتحريره من الجمود، ولاسيما من تلك الموضوعات التقليدية التي أصبحت مكررة ومملة.

المقدمة:

إن الزهاوي شاعر إصلاح وتوجيه كان يريد لمجتمعه التقدم، ولكنه وجد الناس متمسكين بعاداتهم ولا يريدون التجديد والخروج عن القديم، ولذلك ثار عليها وطالب بتغييرها، وبسبب ثورته أصبح يعاني ويتألم من جراء ذلك، لاسيما بسبب بعض الحقودين والحساد الذين عارضوا أفكاره بشدة ووجهوا له نقداً لاذعاً وحاولوا التقليل من شأنه والحط من قدره، فلم تلق دعواته الإصلاحية ذلك الترحيب من ابناء المجتمع، سواء في مناصرته للمرأة ام الى التجديد في الشعر العربي.

وإن غاية البحث هي بيان الأثر الذي تركته العوامل الخاصة والعامة على نفسية الشاعر، وكيف أدت به إلى أن يكون شاعراً ثائراً متمرداً لاقى بثورته وتمرده الكثير من المتاعب والمشاكل، فضلاً عن الإشارة إلى أنه بتمرده يعد مصلحاً اجتماعياً ومجدداً للشعر العربي، محاولاً نقله من حالة الجمود والركود على الرغم من كثرة الخصوم والأعداء.

وقد اعتمدت في دراستي على المنهج النفسي، محاولة الغوص في أعماق الشاعر، لبيان الأسباب التي قادته إلى كل ذلك التمرد.

لقد تناولت في البدء الأسباب التي أدت بالشاعر إلى التمرد من ناحية العوامل الخاصة والعامة، ثم بعد ذلك درست تمرده على مجتمعه وثورته على السلطات التي حكمت البلاد ومن ثم تمرده على الدين وعلى التقليد للشعر القديم، مؤيدة ذلك بالنصوص الشعرية التي تبين تمرده الاجتماعي والسياسي والديني فضلاً عن تمرده على الشعر القديم.

أسباب تمرد الزهاوي:

لتحديد الأسباب التي دفعت الزهاوي إلى التمرد لابد من دراسة العوامل الخاصة والعامة المتعلقة بشخصيته، فضلاً عن دراسة العوامل العامة المرتبطة بظروف الحياة السياسية والاجتماعية المؤثرة على حياته وعلاقاته مع الناس، والتي تركت بصماتها الواضحة على نتاجه الشعري وآرائه وأفكاره المختلفة.

وإن كلا العاملين مرتبطان ببعض فآراء الشاعر وانطباعاته الخاصة ومواقفه في التعامل مع الأحداث، ما هي إلا نتيجة تأثره بظروف بيئته وما يتصل بها من قضايا وأحداث سياسية واجتماعية مختلفة.

أ- العوامل الخاصة:

إن الغاية من دراسة هذه العوامل هو تسليط الضوء على القضايا التي كان لها الأثر الفعال في تكوين صفة التمرد لدى الشاعر، فلابد من معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها الشاعر وحياته الأسرية، وذلك لما لهما من تأثير مباشر على طبيعته ومزاجه وميوله وطريقة تفكيره، وثقافته ونظرته إلى الحياة والمجتمع وعاداته وتقاليده.

وليس هنالك اتفاق حول تحديد السنة التي ولد فيها الزهاوي بل هناك اختلاف[١] في ذلك، و((هو اختلاف طبيعي، ذلك أن الزهاوي ولد في زمن لم تكن الناس فيه ولا الحكومات قد أوجدت وأوجبت تسجيل المواليد والوفيات بصورتها الدقيقة الموجودة في أيامنا هذه))[٢]، ولكن هنالك اتفاقاً حول تاريخ وفاته وبالتحديد في عام ١٩٣٦.

وإن لهذه الحقبة الزمنية التي سبقت وفاته تأثيراً عليه، فقد حدثت في تلك الفترة تغييرات سياسية واجتماعية كان لها الأثر المباشر على نفسيته، والتي ارتسمت بوضوح على نتاجه الأدبي.

وقد عاش الزهاوي بعيداً عن والدته وأخوته مؤكداً ذلك بقوله: ((كانت والدتي تعيش مع أولادها في بيت منعزل عن بيت والدي فنزعني والدي من أحضانها دون إخوتي وأخواتي وأخذ على عاتقه أن يربيني تربية خاصة متبعاً هواه وكان هواه الأدب...))[٣]، وان هذا الأمر قد أثر على نفسية الشاعر ونظرته إلى الحياة، والذي انعكس بعد ذلك على شعره، ولذلك فقد أهتم والده به اهتماماً خاصاً فـ ((كان يشجعه على استظهار الشعر كثيراً، وعلى أبيه قرأ ديوان المتنبي.))[٤]، وأن هذا التشجيع قد بدأ منذ السنين الأولى لحياة الشاعر، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ((وأتذكر أنه كان في طفولتي (ولم يتجاوز سني يومئذ أربع سنين) يعدني بدرهم إذا نظمت شطراً واحداً من الشعر موزوناً وان لم يكن له معنى وقد كسبت الجائزة مراراً...))[٥].

وكان لاهتمام والده بالأدب التأثير الفعال في تكوين شخصيته وتحديد ميوله واتجاهاته، ((فلما حصل على علومه الدينية والعربية جنح إلى قرض الشعر حتى أصبح بمدة وجيزة من أبرز شعراء العراق...))[٦]، ولكنه لم يكتفِ بهذه العلوم ولا بالأدب إذ اتجه إلى العلوم الفلسفية والطبيعية، وذلك لميله الشديد إليها، فكان لها التأثير العميق فيه، مما جعله يعيش في صراع نفسي مع تلك العادات والتقاليد المتوارثة السائدة في وقته، ولما لم يجد من يؤيده ويناصره في أفكاره وآرائه واتجاهاته العلمية أو الفلسفية، كان من الطبيعي أن يتجه إلى التمرد على ذلك الواقع.

وإن من الأسباب التي كمنت وراء هذا التمرد أيضاً، هي حساسية الشاعر ورقة شعوره وروحه الشبابية، إذ يمتلك حساً مرهفاً جعله ذا روح ثورية متمردة على واقعها فهو ((يمثل الشباب وان تهدم جسده وشاب رأسه، كان في عقله شاباً تسيره روح ثائرة متمردة مرهفة الشعور صادقة الإحساس.))[٧].

وقد أحالته هذه الحساسية إلى شاعر رافع لراية التمرد، غير مبالٍ لما يحدث له بعد ذلك، وهو شاعر يتصف بالرقة إذا لاقى التأييد، فيقول في قصيدته التي بعنوان (افتحوا الطريق)[٨]:

افتحـوا للفتـى الهضـيم الطريقـا ... فلقـد جـاء يزبئـر حنيقـا
رافعـاً رايـة التمـرد تهفـو ... حـاملاً مـن يراعـه منجنيقـا
لا يبـالي مـن بعـد إدراكـه الثـا ... ر ألاقـى سـلامة أم زهوقـا
شـاعر ان غـاظوه كـان قسـيا ... وإذا مـا والـوه كـان رقيقـا
ذاك حـر يـأبى القبـول لضـيم ... واثقـاً فـي صـراعه ان يفوقـا

وفي قصيدة أخرى يؤكد أنه قد نشأ على استقلال نفس متمردة وهو راضٍ بذلك فيقول[٩]:

نشأت على استقلال نفس تمردت ... فلا ارتضي نسجا على غير منوالي
ولا ادعي أني انفردت بمقولي ... ولكنني راض كغيري بأقوالي

فهو شاعر ثائر متمرد ويتضح هذا من قصيدته التي بعنوان (إحساساتي)، وهي ((ترسم صورة هذه النفس المتمردة الثائرة التي عاشت حياتها لا تبالي القيود ولا التقاليد وتحلق فوق الزمن وتسبق الأيام.))[١٠]. فيقول[١١]:

لا تهابي فأنت يا نفـــــس بعدي مثل صمصام ليـــس بالمغمود
أنت حاربت للتحـــرر اعـــوا ماً طـــوالاً فحـــاربي من جديد
أنت في الأرض ما تطأطأت حتى تخضعي في السماء أو تستقيدي
إنما أنت للتمرد لا للخســـــــف والرسف في ثقـــــال القيود

ويتضح من هذه الأبيات بأن تمرده كان نتيجة لتأثره بما يحيط به من مؤثرات سواء أكانت سياسية أم اجتماعية، فهو هنا يخاطب نفسه ويدعوها إلى التحرر والكفاح من جديد، ويؤكد أنها إنما خلقت للتمرد لا للعيش تحت وطأة القيود.

وقد يكون المرض الذي ألم به سبباً في تمرده، ذلك المرض العضال الذي أصابه في ريعان شبابه، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ((أما صحتي فليست جيدة وذلك لمرض عضال اعتراني في سن ٢٥ مركزه في النخاع الشوكي مني وقد تداويت في بغداد والأستانة ومصر عند أشهر الأطباء فلم يجدني دواؤهم وكل استفادتي ان توقف الداء فيّ ولكن بعد ان شلت أصابع رجلي اليسرى

وقد أحاول ان أسعى فتمنعني رجل رمتها يد الأيام بالشلل)).[١٢]

وأنه بسببه لم يكن سعيداً في حياته بعدما كان عيشه في الماضي رغيداً حتى ألم به ذلك العقام وهد جسمه، والمقصود بالعقام هو الداء الذي لا يرجى برؤه، وكيف ان الدهر قد أصدر حكمه عليه. فيقول[١٣]:

ولقـد مضـــى لي عندها عيش وكان العيش رغدا

حتـــى الـــمّ بي العقام فهد مني الجـــسم هدا
يا دهـــــر انت علي قد اصدرت حكـمك مستبدا

ثم أنـه يشكو إلـى الله مـن ذلـك الـداء وتلـك الأوجـاع فضـلاً عـن تهديـد الأعداء، وكيف أن كل الأبواب مسدودة ماعدا باب الموت، في قصيدته التي تحمل عنوان (كلها سود) فيقول[١٤]:

اشكـــو إلى الله نفـــساً لا يفارقني كأنه بي حتى الموت معقود
داء عقـــام وأوجـــــاع مبـــرحة وفوقهن من الأشـــرار تهديد
لم يبق لي غير باب الموت منفتحـا وكل باب سواه فهـو مسدود

ونتيجـة لهـذا المـرض فضـلاً عـن الضـغوط الاجتماعيـة والسياسـية والتـي سـوف أتحـدث عنهـا لاحقـاً، فقد عـانى الزهـاوي مـن صـراع نفسـي أدى بـه إلـى محاولة التفكير في الانتحار. فيقول[١٥]:

ارحمينـــــــي فـــــــانني لانتحـــــــار محـــــــاول
انـــــي بعـــــد ســـــاعة لقتيـــــل وقاتـــــل
انتحـــــر واتـــــرك الحيـــــا ة لقـــــوم تنعمـــــوا
ان يجـــز ان يعـــيش نـــا س فمـــا انـــت مـــنهم

ب- العوامل العامة:

وهي تلك العوامل التي كان لها الأثر المباشر على طبيعة الشاعر وطريقة تفكيره، وهـي ظـروف العصـر الـذي عـاش فيـه والبيئـة التـي أثـرت علـى موطنـه ومجتمعه الذي كانت تسيطر عليه العادات والتقاليد، فضـلاً عن التخلف والجهل

واجتياح القوى الاستعمارية وسيطرتها على موطن الشاعر، فكان من نتيجة ذلك أن الطبيعة الإنسانية وقعت أسيرة لتلك العوامل والظروف غير الطبيعية، فكانت تحاول النهوض بواقعها ولكن من دون جدوى، مما دفع الشاعر إلى التمرد على ذلك الواقع المرير.

لقد عاصر الزهاوي في حياته ثلاث حقب[١٦] مختلفة من تأريخ العراق وهي الحكم العثماني ثم الاحتلال البريطاني فالعهد الملكي، ولذا فقد ((عاش الزهاوي في عصر قلق مضطرب اهتزت مثله وتقاليده وعاش بين قرنين متغايرين، القرن التاسع عشر الخامد المتحجر، والقرن العشرين المضطرم المضطرب المتوثب فقد شاهد الهدوء والثورة وتأثرت نفسه المرهفة الشاعرة بالنقلة الجديدة.))[١٧]، وبما أنه عصر مضطرب وذو تغييرات سياسية واجتماعية وفكرية مختلفة، فكان طبيعياً أن ينعكس أثر هذا القلق الروحي والاضطراب النفسي على الشاعر فتتغير مواقفه واتجاهاته حسب مقتضيات العصر، ولذلك فقد أصبحت لديه مواقف وآراء متناقضة فمرة يمدح وأخرى يهجو ومرة يؤمن بالخالق وأخرى يشكك به وهكذا.

ومثلما هو معروف فأن الشاعر يتأثر بما يدور من حوله من قضايا تتعلق بمجتمعه، وقد بين الزهاوي سبب نظمه للشعر بقوله: ((هناك في بغداد على ضفة دجلة سماء صافية زرقاء ... ويأس أسود، وفساد في النظام، وعادات سيئة تضر بالمجتمع، ونفس لي حرة لا تقيم على الضيم، كل ذلك قد أنطقني شعراً هو شعور كان يجيش في نفسي قبل أن أنطق به.))[١٨]، فهو كان يتألم للحالة التي وصل إليها الشعب إذ يقول ((وآلامي المعنوية أكبر من آلامي المادية فأني كلما رأيت تقدم الشعب بطيئاً استولى عليّ اليأس وكلما انخدع بالباطل تمزق قلبي من الأسى وكلما خضع للظلم شرفت بدمعي...))[١٩].

وان هذا الارتباط الذي كان بين الزهاوي وبيئته، هو الذي جعله يتمرد على مجتمعه، فضلاً عن العداء الذي كان بينه وبين الناس، وسبب ذلك العداء هو أنه اصطدم بعادات مجتمعه وتقاليده البالية، فقد وجده مجتمعاً متمسكاً ومثقلاً بتلك العادات فحاول إصلاحه ولكن الناس رفضوا، وأن هذه العداوة لم تثن الشاعر عن دعوته فرد عليهم بقصيدته التي بعنوان (هي الحقيقة)، والتي قالها عند نكبته في الدفاع عن المرأة. فيقول[٢٠]:

هي الحقيقة ارضاها وان غضبوا ... وادعيها وان صاحوا وان جلبوا
اقولها غير هياب وان حنقوا ... وان أهانوا وان سبوا وان ثلبوا
إن يقتلوني فكم من شاعر قتلوا ... او ينكبوني فكم من عالم نكبوا
ولست أول من أبدى نصيحته ... لقومه فأتاه منهم العطب

ولذا فقد رفع راية التمرد لأنه أدرك أن التغيرات التي دعا إليها صعبة التحقيق في ظل مجتمع يرفض التغيير ولا يتقبله.

تمرده على المجتمع:

يعد الزهاوي في مقدمة الداعين إلى الإصلاح الاجتماعي، فقد لاحظ بعض القضايا الأساسية في المجتمع العراقي تحتاج إلى المعالجة والاهتمام الخاص بها وإيجاد الحلول لها بما يضمن تطويرها نحو الأفضل، ولاسيما قضية المرأة وما تعاني منه منذ فترة طويلة، ولذلك فقد هاجم العادات والتقاليد الاجتماعية المتوارثة ودعا إلى تغييرها وتجديدها فثار على العادات وحتى على

الأقدار، ودعا أبناء مجتمعه إلى التحرر من قيود العقائد السوداء في قصيدته (حتى على الأقدار). فيقول[٢١]:

بثـــوا بألســـــنة لكم من نار ما في جماجمكم من الافكار
سيروا إلى غاياتكـــم في جرأة كالسيل الهدار أو كالاعصار
ثوروا على العادات ثورة حانق وتمردوا حتى على الاقـــدار
وتحرروا من قيد كل عقـــيدة سوداء ما فيها هدى للساري

وفي قصيدته (ألواح مبعثرة) أيضاً يدعو إلى التمرد. فيقول[٢٢]:

وتمـــــــرد علـــى تقـــــــا ليد تفضي إلى الضرر
أنمـــا الحـــــر مـــن تمـرد حتـــــــى على القدر

وأيضاً يقول[٢٣]:

انهـــا العـــادات لا يخلعهـــا غيـــر ذاك المـــارق المنطلـــق
قـــد تلقاهـــا تراثـــاً ســـيئا أحمـق عـن أحمـق عـن أحمـق

لقد حاول الزهاوي بناء المجتمع العربي على أسس متينة ورصينة، تؤمن لكافة أفراده الحصول على حقوقهم الشرعية، ولاسيما المرأة ذلك المخلوق الذي عانى الكثير بسبب عدم فهم مشاعره وتحقيق رغباته، فهو أراد مجتمعاً تسود فيه العدالة بين أفراده جميعاً، فتتحقق للمرأة ما تصبو إليه من طموحات وتنال حقوقها المشروعة وتمارس دورها في المجتمع، فكانت دعوته تتجلى في مساواتها مع الرجل ((ويدحض الزهاوي تلك المزاعم القائلة أن الرجل أجدر من المرأة في الأعمال المختلفة ... فيرى ان المرأة والرجل سواء في الجدارة ولا فرق بين

الاثنين في الحياة...))[٢٤]، ويدعو إلى تعليمها وأن الشعب يرتفع بإناثه وذكوره والطائر لا يستطيع الطيران إلا بجناحين فيقول[٢٥]:

انمـــا المـــــــرأة والمـــر ء ســـــواء في الجـــداره
علمـــــوا المـــــــرأة فالمر أة عنـــــــوان الحضـــاره
يرفـــــع الشـــــعب فريقا ن انـــــاث وذكـــــــور
وهـــــــــل الطـــائر إلا بجناحـــــــيه يطـــــير

و((انتقد عادات مجتمعه في الزواج، وهاجم بضراوة تزويج الصبية للشيخ والكهل أو بدون رضاها، والزواج بوساطة الخاطبة واحتقار الزوجة وإهمالها إلى غير ذلك من عادات ذميمة))[٢٦] ، فكان وضع المرأة من المواضيع التي أهتم بها بكل إيمان وصدق شديدين، فتناول حالها بالشرح والتحليل مبيناً مدى العذاب الذي تعاني منه .

((ولما لم يتحقق للزهاوي حلمه رفع راية التمرد لإثبات ذاته ولتأكيد شخصيته فدعا إلى تحرير المرأة بالعنف وبالقوة...))[٢٧]، فعد الحجاب مؤخراً للأمة عن التقدم. فيقول[٢٨]:

أخر المسلمين عن أمم الار ض حجاب تشقى به المسلمات

وشبه البنات المحجبات وهن في ربيع حياتهن بالزهر الذي يخنق وهو في الأكمام. فيقول[٢٩]:

وارى البنات محجبات في الصبا كالزهر يخنق وهو في الأكمام

ويرى بأن السفور ليس هو فقط الذي يؤدي إلى الطيش وارتكاب الأخطاء بل قد يسهل الحجاب ذلك، فعد الحجاب جموداً أقرب إلى الهلاك والحياة تستمر بعدم التقيد. فيقول[٣٠]:

قـــــد عزوتم إلى السفور غروراً طائشاً قد يفضي إلى الهفوات
هل يحول الحجاب بين التي لم تتثقف والطيش في الـــرغبات

وتعد مقالته التي نشرها في جريدة (المؤيد) والتي بعنوان (المرأة والدفاع عنها) تمرداً على عادات مجتمعه وتقاليده، فقد ذكر فيها عشر مضار للحجاب[٣١] محاولاً الخروج عن المألوف، مما أدى إلى قيام ضجة كبيرة حوله دفعت والي بغداد ناظم باشا إلى عزله عن وظيفته.

ونتيجة لنكبته تلك فقد نظم قصيدتيه (يابثين)[٣٢] و (ساكت انت)[٣٣]. ولكن الزهاوي رغم كل هذا التمرد المتمثل بثورته على الحجاب ومطالبته بحرية المرأة، فقد كانت زوجته محجبة كما أكد ذلك الأستاذ أحمد المفرجي[٣٤]، كما انه لم يكن ذا موقف ثابت تجاه قضية المرأة ودفاعه عنها[٣٥]، ولاسيما عندما ثار عليه الناس بسبب مقالته المنشورة في المؤيد، إذ تراجع عن موقفه ودفع بعض أصحابه فضلاً عن المجلة إلى القول: بأن تلك المقالة مدسوسة عليه.

وما تصدي الزهاوي لقضية المرأة إلا تمرد منه على الواقع الاجتماعي ورغبته في إصلاحه ونقله من حالة الجمود التي كان عليها، ولكن أبناء المجتمع لم يتفهموا موقفه فهو كان ينصحهم ويوجههم وهم يقابلونه بالسب والشتم محاولين النيل منه، ولم يكتفوا بذلك بل ((أخذ الناس تشتمه وتسبه عندما يمر الزهاوي في شوارع بغداد ويرمونه بالحجارة...))[٣٦].

ففي قصيدته (حقد ام نقد) يبين بأن نقد الناس له لم يكن إلا حقداً عليه فيقول[٣٧]:

ملأوا صدور الصحف حقدا والحقـــد قـــــد سموه نقدا
أني التفـــــــــت أرى أما مـــي من رجال السوء ضدا
ألفيـــت قـــوماً يحقـــدو ن على الذي للفضل أبدى

أما في قصيدة أخرى يبين بأن ذلك النقد يعوزه العلم، وما هو إلا إظهار لشدة عداء الناس له فيقول[٣٨]:

كم جاهل جاء في بغـداد يوسعني نقـــداً فأعـــوزه علـــم وعرفان
ومظهـــرين عـــداء لا انقضاء له كما تعادي هزار الروض غربان
سبوا وبالسب راموا الحط من أدبي كأنما الســـب عند القوم برهان

ولقد بين رأيه بهذا النقد قائلاً: ((وأكثر ما قرأته من النقد لي لم يكن نزيهاً ولا قائماً على أساس من العلم والمنطق بل على الأكاذيب والمفتريات...))[٣٩]، فقد كان له خصوم[٤٠] حاولوا النيل منه لتعكير مجرى حياته، وعلى الأخص منهم الرصافي وروفائيل بطي ومحمد بهجت الأثري، فقد سببوا له مضايقات تركت في داخله معاناة نفسية، فكان حقدهم عليه شديداً فضلاً عن حسدهم أيّاه ومحاولتهم التقليل من شأنه.

ونتيجة لهذا التمرد أصبح يعاني ولا يشعر بالراحة في موطنه، وبالتالي يقرر الرحيل ليستطيع ان يعيش بأمان وراحة في مجتمع يتقبل التغيير ويرضى به، ولذلك فهو يضطر إلى السفر لكثرة الخصوم، فضلاً عن عدم حصوله على

المنصب الذي كان يطمح إليه، والذي ستتم الإشارة إليه في المبحث الخاص بتمرده السياسي.

ثورته على السياسة:

لقد كانت الفترة التي عاش فيها الزهاوي فترة صراع سياسي كثرت فيها الأحداث أبان الاحتلالين العثماني والبريطاني والحكم الملكي فـ((كانت الأحداث – التي لم يشهد لها القرن الماضي مثيلاً – تهز المجتمع العراقي آنذاك، وتقتحم نصوص شعرائه وتعرضها، ربما للمرة الأولى، لريح عاتية: الانقلاب العثماني، إعلان الدستور، الحرب العالمية الأولى، ثورة العشرين، إقامة الحكم الوطني عام ١٩٢١.))[٤١]، وقد أثر هذا الصراع على نفسية الشاعر، ولاسيما عند عدم تحقيق ما وعدت به تلك السلطات، فكان لهذا أثر واضح في ثورته على تلك السياسات، ففي قصيدته (نحن في غفلة) يقول[٤٢]:

نحن في غفلة نيام وعنا ... نائبات الزمان غير نيام
نحن في دولة تداركها الله ... تبيح المحظور للحكام
وعدها بالاصلاح جم ولكن ... لا يجوز الإصلاح حد الكلام
نحن قوم قضت إرادة شخص ... واحد ان نعيش كالانعام
قد لجأنا إلى الكرام بكاة ... وإذا بالكرام غير كرام
رب قوم من العدالة محرومين ... فازوا بها بحد الحسام

فهو ينبه أبناء قومه إلى أن وعود الحكام مجرد كلام، وإنهم يعيشون في غفلة عن أمرهم ويدعوهم إلى أخذ حقهم بقوة السلاح، وما تحريضه للشعب إلا ثورة منه على تلك الحكومات الظالمة.

أما في قصيدته (لهف نفسي) فيحاول إثارة الشعب على الحكام الذين غصبوا حق الناس وأذلوهم، فيدعوهم إلى الثورة والتمرد قائلاً[٤٣]:

لهف نفسي على رفات شباب طحنتهم طحن الرحى النائبات
لو سألت الرفات ماذا دهاه لاشتكى من ظلم الولاة الرفات
فوق وجه البيض الحسان سطور كتبت بالدموع فيها شكاة
وهب الله للرعايا حقوقا غصبتها من الرعايا الولاة
ارهقوكم ذلا وأنتم سكوت اين اين الأحرار اين الاباة

أن معاناة الزهاوي كانت كبيرة وقاسية من الناحية السياسية، نتيجة لما تعرض له من اضطهاد وظلم وتعسف ونفي وذلك ((في ١٩٠٠م (١٣١٨هـ) أعيد مخفوراً إلى بغداد وعمره سبع وثلاثون سنة.))[٤٤]، وقد شرح في قصيدته (انين المفارق)[٤٥] كيفية توقيفه في القسطنطينية وإرساله مخفوراً إلى بغداد، فـ((قد كان رحمه الله تعالى من مناوئي الاستعمار العثماني مما لقي منهم في أيامهم عنفاً كبيراً وذاق مرارة السجن والاعتقال مدداً طويلة ومتفاوتة ...))[٤٦] ، مما أدى به إلى الثورة على الحكومة وسياستها العنصرية، ولكن بسبب هذه الثورة قد لاقى الكثير من المتاعب من السلطات المستبدة .

((وسرعان ما وقع الزهاوي تحت تأثير الانكليز منذ وقت مبكر ولعله اتصل ببعض وكلائهم في القسطنطينية فمما لا ينكر ان أغلب الشباب العرب هناك كانوا تحت تأثيرهم الفكري بصورة مباشرة أو غير مباشرة ...))[٤٧]، وكانت لديه ميول إلى الانكليز[٤٨] حتى في أثناء غزوهم للعراق فمدحهم في قصيدتيه

(ولاء الانكليز) و (أورائي أم أمامي؟) ودعا العرب إلى الالتجاء إليهم وترك حكومة الأتراك ولكن مع ذلك فقد ذمهم عندما حدثت الحرب بينهم وبين الأتراك مخافة منه على حياته، ولذلك فقد تغير موقفه وثار عليهم، ((فحب الزهاوي للبريطانيين ليس حباً صادقاً بقدر حبه لمصلحته فهي عنده فوق كل اعتبار...))[٤٩]، و((ان مواقف الزهاوي في عهد الاحتلال البريطاني وما بعده كانت مضطربة، إذ لم يثبت على موقف واضح ومع هذا أدرك البريطانيون أن الزهاوي ما عاد ينفعهم لذلك أبعدوه وحجموا دوره في عهدهم...))[٥٠].

ومن القصائد التي هجا بها الانكليز قصيدته (يا بلاد استقلي) والتي نظمها بعد الاحتلال فيقول في مطلعها[٥١]:

يا أيـــدي الظلـــــم شـــلي ويـــــا بـــــلاد اســـتقلي

وقد شغل عدة وظائف ومناصب حكومية وسافر إلى عدة دول، وقد رتب الدكتور داود سلوم ذلك بشكل واضح ومُيسر منذ بداية تعيينه، ولكنه رأى غيره يتقدم في مناصب الدولة وهو يتأخر ولا يستطيع الحصول على منصب مرموق فيها، فضلاً عن إصابته بخيبة الأمل الكبرى عندما أقصي عن وظائفه[٥٢] .

لقد كان السلطان عبد الحميد سلطاناً جائراً وكانت سياسته ظالمة، ونتيجة لخيبة الآمال في حكومته فقد نظم الزهاوي قصائد ثار بها[٥٣] على الطغيان الحميدي ولاسيما قصيدته (حتام تغفل)، فضلاً عن ذلك فأنه قد دافع عن حقوق العراقيين والعرب وطالب بجعل اللغة العربية، لغة رسمية في العراق عندما كان عضواً في مجلس المبعوثان العثماني، وقد رفض العروض المقدمة له بتعيينه مؤرخاً وشاعراً للبلاط الملكي في ذلك الوقت، ونتيجة لذلك فقد دخل السجن وحكم عليه بالإقامة الجبرية في بغداد.

لقد أراد من خلال قصيدته (حتام تغفل) والتي نفي بسببها أن يبين مدى الخوف والفزع الذي حل بالشعب من خلال الأم التي استعارها للوطن وهي تستصرخ. فيقول[٥٤]:

قـــد استصرخت ام ربيت بحجرها وانك عنها غافل لست تسأل
رعى الله ربعا كان بالامس عامرا باهليه وهو اليوم قفر معطل

وفي أبيات أخرى منها يوضح طمع الحاكم الظالم وكيف ان أفعاله حسب إرادته، وأنه إنسان مستبد لا يستمع إلى رأي غيره. فيقول[٥٥]:

لقد عبثت بالشـــعب أطماع ظالم يحمـــــله من جــوره ما يحمل
فيا ويح قـــــوم فوضوا أمر نفسهم إلى ملــك عن فعله ليس يسأل
إلى ذي اختيار في الحكومة مطلق إذا شاء لم يفعل وان شاء يفعل
وذي سلطة لا يرتضي رأي غيـــره إذا قال قولا فهو لا يتبدل

وبالرغم من ثورة الزهاوي على الحكومة وسياستها، فانه لم يكن مستقراً على موقف معين[٥٦]، فبعد هجائه للسلطان عبد الحميد الثاني في قصيدته (حتام تغفل) عاد فمدحه في كتابه (الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق)، وان السبب في هذا التغير هو خوف منه على حياته وليأمن شر السلطان، فهو اضطر إلى تغيير موقفه نتيجة لما تعرض له من سجن ونفي.

وتصدى أيضاً لـ(ناظم باشا) في قصيدته (طاغية بغداد) و ((هي قصيدة من نوع الهجاء السياسي والتهجم على سيرة والي بغداد وإجباره فتاة مسيحية على

الفحشاء وكفاح تلك الفتاة في سبيل شرفها ثم هربها.))[٥٧]، وما ذلك الهجاء إلا ثورة منه على الوالي وسياسته فيقول[٥٨]:

جاء عجـزاً يـزري وجـاء اقـتدارا وتـردى شناعـة وفخـارا
عامـل الناس بالعـدالـة والظـلم فـكانـوا يلقون نورا ونارا
جـرّ عـزا إلـى العـراق وذلا وحـيـاة لأهـله وبـوارا

ويطالبه بالتريث في استبداده ويحذره من الشعب فيقول[٥٩]:

أيهـا المستـبد فـينا رويـداً فلقد جزت ويحك الاطوارا
احـذر الشـعب انـه بركان مطمئن وقد يجئ انفجارا

وان الزهاوي في هذه القصيدة قد ثأر لنفسه وذلك لان الوالي كان قد عزله عن وظيفته في مدرسة الحقوق، بسبب مقالته في الدفاع عن المرأة، ولذلك فقد فضح الوالي انتقاماً منه وتشجيعاً للشعب على الثورة، وعلى انتزاع حقه بالقوة من الحكومات الظالمة التي لا يتصف حكامها بالخلق والعفة.

تمرده على الدين:

لقد أثرت الضغوط الاجتماعية والسياسية على نفسية الشاعر، فأنعكست حتى على عقائده الدينية وبالتالي تغيرت بعض المفاهيم، وتكونت لديه أفكار جديدة واتجاهات ثائرة تمرد بها على الدين فأنطبعت في نتاجه الأدبي.

ويتضح تمرده في عدم تنفيذه للواجبات الدينية، فلا يرى فيها سوى تقليد لما ورث عن الأباء فيقول[٦٠]:

قالـوا هنـاك واجـب فاعلمه تعل في الرتب
أمـا أنـا فـلا أرى شيئاً علي قـد وجـب
غيـر اتبـاع سـنة أورثـها أم وأب

وتمرد على الشرائع الدينية التي كان يرى أنها غير صائبة إلا من ناحية الثواب والعقاب، ولولا الوعود بالخلود لما أختار الناس ديناً، فيقول[٦١]:

مـــــا للشـــــرائع أس	مبـــــين للصـــــواب
إلا رجـــــاء ثـــــواب	أو خشـــية مـــن عقـــاب
قـــد صـــار شـــكي ظنـــا	وصـــار ظنـــي يقينـــا
لـــولا الوعـــود بخلـــد	لـــم يختـــر النـــاس دينـــا

وتعد مطولته (ثورة في الجحيم) صورة واضحة المعالم لنفسيته المتمردة حتى على الدين وقد ((تأثر الزهاوي تأثراً كبيراً بالمعري، وليس جديداً أن نقول أن (ثورة في الجحيم) قد نهلت من (رسالة الغفران) وأن الزهاوي قد جعل من أبي العلاء شخصية رئيسة فيها ...))[٦٢].

وهي ((قصيدة طويلة عدد أبياتها ٤٣٣ بيتا وقد نشرها الزهاوي في مجلة – الدهور – البيروتية سنة ١٩٣١ ثم أعاد نشرها في آخر ديوانه الأوشال المطبوع في بغداد سنة ١٩٣٤ ... وروى – الريحاني – أن الزهاوي قال للملك فيصل عندما عاتبه بشأنها: لقد عجزت يا مولاي عن أضرام الثورة في الأرض، فأضرمتها في السماء!.))[٦٣]، وان قوله للملك يؤكد بأنه شاعر ثائر متمرد حاول من خلال مطولته بيان ما في نفسه من شك وإنكار يتعلق بأمور الدين، فضلاً عن أنه قد عرض في هذه القصيدة بعض القضايا التي تناولها في شعره، وتمرد بها على تقاليد مجتمعه ألا وهي مسألة السفور والحجاب.

وقد أودع فيها شكه وإنكاره فضلاً عن تمرده وسخريته الواضحة من خلال وصفه للنعيم والجحيم والصراط المستقيم، ووصفه للملكين منكر ونكير وكيف إنهما يأتيان لإيقاظ الميت وتوجيه الأسئلة له عن أمور فعلها في حياته، ولذلك فقد قسم مطولته هذه إلى عدة أقسام وتتضح ثورته بشكل جلي في القسم الذي يحمل عنوان (خطبة أحد شباب الجحيم يحدث بها ثورة)، إذ يقوم في النهاية أحد الفتيان فيخطب بأهل الجحيم ويدعوهم إلى التمرد والثورة وعدم القبول بما فرض عليهم من عذاب، وذلك للخروج من السعير واحتلال الجنة، فيرى بانه ليس من الحق ان يخلدوا في النار على كفر ساعة فيقول[٦٤]:

ولقد قام في الاخير فتى يخطب فيهم والصوت منه جهور
فاحاطت به الملايين يصغون إليه وكلهم موتور
قال يا قومنا جهنم غصت بالألى يظلمون منكم فثوروا
قال يا قوم اننا قد ظلمنا شر ظلم فما لنا لا نثور
ومن الناس من قضى الله ان يكفر والموت منه دان يزور
فهل الحق ان يخلد في النا ر على كفر ساعة مجبور
قال يا قوم لا تخافوا فما فو ق شرور تكابدون شرور
اجسروا أيها الرفاق فما نا ل بعيد الآمال إلا الجسور

وما ثورته هذه إلا تمرد منه على أحكام الدين وما جاء به من قضايا تتعلق بالحساب والآخرة، ولكن هذا التمرد كان سبباً من أسباب جلب المتاعب للشاعر، إذ قام الناس ولاسيما رجال الدين بسبه وشتمه على المنابر في خطبة صلاة الجمعة ووجهوا له الإهانة والتكفير فيتساءل الزهاوي لماذا يخاف الناس منه وبماذا يضرهم. فيقول[٦٥]:

قالوا اطردوا الزنديق من أوطانكم ماذا يخـــاف القوم من زنديق؟!
قالــوا اقتلـــوه إنما هـــو مــارق ماذا يضير المؤمنين مروقي؟!!

ولذلك لما ثار عليه المتعصبون بسبب نشر مطولته طلب من أهل بغداد ان يسمحوا لـه ببيان حجتـه لكـي يـدافع عن نفسـه فـي قصـيدته (اسمحوا لـي). فيقول[٦٦]:

الا فاسمحوا لي ان اقول موضحا لما بيننا يا اهل بغداد من لبس
فان تمنعـــــوني ان افوه بحجتي فكيف اجيبوني ادافع عن نفسي

لقد كـان الزهـاوي صـاحب نفس متمردة، لـه أفكـار وآراء اختلـف بهـا عـن مناهج قومه فـي التفكير فـي الكثير من القضـايا ولاسيما فـي أمور الدين، فكانت له نظرته الخاصة فحاول بيانها وتسجيلها في شعره، ولكن الناس لم يتقبلوا ذلك فأنهالوا عليه بالنقد اللاذع. فيقول[٦٧]:

أي ذنـــب لي ان تبـــاعدت الشـــقة بـــين اعتقـــادهـــم واعتقادي
كلما خالــف الجمـــاعة فـــي الـــرأي جـــرئ رمـــوه بالالحـــاد
أيها الناقد المهين لشــعري انت ما بالـنزيه في النقاد
لا تُحقّر بنات فكري فتلكم كل ما قد خلفت من اولاد

ويتضح من عنوان قصيدته (لكنني لم اقتنع) ان تمرده وخروجه عن مذهب قومه، لم يكن إلا بسبب عدم قناعته. فيقول[٦٨]:

ولا تحسبني قد تزندقت عامداً لأحـــرز مكثا في جهنم خالدا
ولكننـــي لـــم أقتنع بكلامهم فأصبحت من جراء ذلك جاحدا

((وما دمنا قد عرضنا لعقيدة الزهاوي فإنني استطيع أن اقطع القول أن الزهاوي لم يكن ملحداً قط ولكن عقيدته تختلف جوهراً وكيفاً عما يعتقد سائر الناس، وقد تساور نفسه خلجات من الشكوك ... حتى إذا ما ثاب إلى نفسه وفكره ... ندم واستغفر...))[٦٩]، وقد أكد إسلامه مشيراً إلى عدم تقليده للغير، وداعياً إلى تحكم العقل في الدين. فيقول[٧٠]:

يسألني عن مذهبي وعقيدتي فريق من الاشياخ ما أنا منهم
فقلت لهم أما السؤال فبارد وأما جوابي فهو أني مسلم
ولكنني ما كنت يوماً مقلدا يرى ان حكم العقل في الدين مأثم

والزهاوي في تمرده الديني أيضاً يبدو متناقضاً ومتقلباً بين الشك واليقين، فبعد ان كان لا يبالي بما يسمى سواء مؤمناً أم ملحداً في قوله[٧١]:

اعتقدنَّ ما تشاء النفس أن تعتقدا
ولا تبال ما تسمى مؤمنا أم ملحدا

ولا يبالي أيضاً عندما يكون في القبر أيلاقي ملاكاً او شيطاناً. فيقول[٧٢]:

فبعد كل هذا التمرد يندم ويرجع إلى الإيمان في قصيدته التي تحمل عنوان (ندامة ورجوع إلى الإيمان)، ويطلب الغفران من الله. فيقول[٧٣]:

أنا فيما أبديته من مقال مخطئ ليس لي أقل استناد
شهد الله والملائكة الأبرار أني ركبت غير السداد
انني قد أسأت ظني وربي واقف للمسئ بالمرصاد
انني قد ندمت غفرانك اللهم من سوء مذهبي واعتقادي

وأيضاً يطلب الغفران بعد أن يبين ندمه على سوء اعتقاده. فيقول[٧٤]:

ندمت على ما كنت فرطت قبلذا بسوء اعتقاد لي إلى الكفر قد جرا

لقـــد قلـــت قولا باطلا بجهالة والحـــــدت فاللهم يا خالقي غفرا
فقـــد تبت عما كنت معتقدا له فإن لم تتب ربي علي فـــوا خسرا

أما في قصيدته (إنما الله واحد) فيشهد بوحدانية الله، وهذا يدل على إيمانه وعلى التيقن بوجود خالق واحد. فيقول(٧٥):

لا يضـــر اليقـــين إن جـــحد الله جـــاحد
لا تقـــولوا ثـــــلاثة إنمـــا الله واحـــد

وفي قصيدته (المنظور والمستور) فيذكر بأن مذهبه هو وحدة الوجود، ولا يبالي بتكفيره لأن أهل عصره لا يفقهون معنى حديثه، ويفضل لو يأتي بعد عصور. فيقول(٧٦):

مذهبي وحدة الوجـــود فلا كا ئنُ غيرُ الله القديم القدير
انا هـــذا فـــلا ابالي اذا ما اجمعت ثلة على تكفيري
اهل عصري لا يفقهون حديثي حبذا لو اتيت بعد عصور

أما في قصيدته (العقل والضمير) فيؤكد بأنه لم يكفر وانه ليس بالمسؤول عن نزوات عقله المبطل. فيقول(٧٧):

انـــا ما كفـــرت بكـــل عمـــري بالكتـــاب المـــنزل
انـــا لـــم ازل اشـــدو بنعـــت للنـــبي المرســـل
انـــا لســـت بالمســـؤول عـــن نـــزوات عقـــل مبطل
مـــازال يبـــدي رأيـــه ســـألوه ام لـــم يسئل

وان هاتين القصيدتين الأخيرتين قد كتبهما بعد مطولته التي كتبها عام ١٩٢٩، إذ كتب القصيدة الأولى (المنظور والمستور) عام ١٩٣٠، اما الثانية فكتبها عام ١٩٣١ وهذا يدل على ان نزعة الإيمان قد تغلبت على تمرده.

تمرده على التقاليد الفنية للشعر:

لقد أمتاز الزهاوي بتمرده على التقاليد المتوارثة للشعر، ويعد في طليعة الذين جددوا في الشعر ومن الداعين إلى تحرره من القيود القديمة، وقد أدخل الموضوعات العلمية فيه وجعلها مضامين له، فضلاً عن دعوته إلى تبني الشعر المرسل ونبذ القافية، ولذلك فقد تمرد على القديم وعُني بالتجديد.

وقد بين نزعته في الشعر بقوله: ((ولا أرى للشعر قواعد بل هو فوق القواعد، حر لا يتقيد بالسلاسل والأغلال ... يتجدد- وأحرِ به ان يتجدد – بحسب الزمان، ويرتقي من الأدنى إلى الأعلى ومن البسيط إلى المركب ... وما أخلق الشاعر بأن يخرق التقاليد التي ورثتها الأبناء من الآباء فيقول ما يشعر به هو، لا ما يشعر به آباؤه.))[٧٨]، وأضاف قائلاً: ((الجديد الجديد هو أحسن ما تنزع إليه النفس الوثابة، ولو لم يتجدد الليل والنهار لملهما الناظر:

سئمت كل قديم عرفته في حياتي
ان كان عندك شئ من الجديد فهات.))[٧٩]

((وكان الزهاوي رافع لواء التجديد ليس في هذا العهد الذي ظهرت فيه الدعوة قوية إلى الجديد بل منذ العهد العثماني ... فثار على كل قديم ودعا إلى كل جديد ...))[٨٠]، و((يعد الزهاوي – في الحقيقة – من المجددين في رسالة الشعر بالقياس إلى طابع العصر الذي ظهر فيه، هذا العصر الذي اتسم كل ما فيه بالجمود والتقليد ...))[٨١]، فدعا إلى الأخذ بكل جديد و ((أن الزهاوي أول

شاعر حد من شعر المدح والرثاء إلى الحد الأقصى وأزال الهجاء الشخصي نهائياً من شعره وفي هذا قد تحدى كثيراً من شعراء الزمن المعاصر الذين فشلوا رغم التجديد والروح الحديثة في التخلي عن الهجاء الشخصي أو المدح المفردي للاطماع الدنيوية))[٨٢].

ولذلك فقد تمرد على القديم وعُني بالتجديد. فيقول[٨٣]:

الشعـــــر أكبـــر موقـــظ يدعو فتنتبه الهجود
كـل الفنـــــــون تجـــددت والشعر يعوزه الجديد
مـا قـام حتـى أثـقـــــلته مـن قـوافـيـــــــه الـــقيـــود
قـــــد حـــددوه للـــــورى والشعر ليس لـه حدود
لا يـرتـــــــقي شعب على الأدب القـديم لـه جمود
مـاضـــر سـامعـها لـو اخـتلفت قوافيهـــا الـــقـصيد

وأيضاً يقول[٨٤]:

كذبـــــوا أننـــــي إلى اليـوم مـا قلـــــدت غيـــري مالي وللتقليد
حبذا اللـــيل والنهـــار بعيني اننـــــي مغـــرم بكـــل جديد
وجـــديد القريـــض قـــرب معانـــيه وبعـــد لـــــه عن التعقيد

وقد ناصر وشجع كل من كان يدعو إلى التجديد، فكتب قصيدته (عطارد) وعطارد مجلة تحث على التجديد في الأدب لجماعة من الشباب الناهض. فيقول[٨٥]:

طلعت من الأفق الجديد عطارد للعاكفين على القديم تطارد

أدبان هذا ناهض في ثورة يبغي الحياة له، وهذا جامد
نسبوا إلى الأدب الجديد مساوياً وإذا المساوي كلهن محامد
القوم أسرى لم يجرد نفسه من قيدها في الألف إلا واحد
الشعر بالتقليد فيه هالك والشعر بالتجديد فيه خالد
للشعر في فلق التجدد ثورة وكأن شيطان التجدد مارد

فكانت تسيره روح ثائرة متمردة على كل قديم وداعية إلى كل جديد. فيقول[٨٦]:

وأني علـى شيخوختـــي وزمانتـــي أريد بشعري في الحياة لتجددا
ولا خير في شعر مضى اليوم عهده وفي شاعر إن قال قال مقلدا
وما شاعر العصر الجديد سوى الذي على دولة الشعر القديم تمردا
ومن كان ذا روح مع العصر ثائر فليس يريد الروح منه ليجمدا

وان من عناصر التجديد في شعره هو إدخاله الموضوعات العلمية فيه، وجعلها مضامين له واستعماله للمصطلحات العلمية، وقد ((وجدناه يؤلف كتابين هما (الكائنات) و (تعليل الجاذبية) .

ويظهر أنه شغف شغفاً شديداً بهذه المعارف وما يتصل بها من آراء جغرافية...))[٨٧]، ولذلك فقد نظم قصائد تناول فيها موضوعات علمية[٨٨] وهي المجرة وضمن المجرة وسياحة العقل وأين مني ما أريد والشمس وكأنك لا تعلم وغيرها[٨٩].

ففي قصيدته (بيروت في سفري) يشير إلى ان الشعر فن يحتاج إلى العلم، وأن أهل العلم على دراية بمعنى الشعر ولا يستطيع الإجادة به إلا المبتكر. فيقول[٩٠]:

الشـــــعر فن إلى ذي العلم مفتقر ولـــــيس للشـــــعر ذو علم بمفتقر
ان رمت تفقه معنى الشعر مكتنها فأسأل عن الشعر أهل العلم والنظر
والشـــــعر ان لم يفد معنى يخلده فإنمـــا هـــــــو معدود من الهذر
ولا يجـــــيد سوى من كان مبتكرا ليـــس كـــــل أخـــي شعر بمبتكر

وقد أصبح الشعر عنده بنبض بالفكر الحديث ومعارفه العلمية[٩١]، وبذلك ترك الطبيعة الإنسانية مُتجهاً إلى الطبيعة الكونية، فلم يعد يهتم بالإنسان ومشاعره بل أصبح الكون هو الذي يشغله بما فيه من أثير وجاذبية، وليس الشعور فقط يفقد في الجانب العلمي بل حتى لغة الشعر وموسيقاه[٩٢]، إذ أستعمل لغة العلم أما العاطفة فقد غابت عنه، ولذا فهو يُلام لأنه لم يستطع المزج بين عالم العقل وعالم الشعور.

ويتضح تمرده على القديم في دعوته إلى مزاولة الشعر المرسل، وهو((ما نظمه في حدود سنة ١٩٠٧م وهذا الشعر الذي جاء به الزهاوي ينتظمه وزن واحد وهو الطويل ولكنه لا يتقيد بروي واحد أو ضرب واحد من أضرب الطويل.))[٩٣]، وقد كتب قصيدتين في الشعر المرسل الأولى نظمها عام ١٩٠٩، أما الثانية عام ١٩٢٥، فـ ((جاءت الأولى بعنوان (الشعر المرسل) والثانية بعنوان (بعد ألف عام).))[٩٤] .

ونشر أيضاً مقالة له بعنوان (الشعر المرسل) في جريدة (السياسة) البغدادية يوم ١٩٢٥/٥/٢٩، وقد أورد الأستاذ عبد الرزاق الهلالي[٩٥] النص الكامل لهذه المقالة وبعض النصوص المؤيدة والمعارضة لهذه الدعوة، فضلاً عن رد الشاعر على ناقديه، وذلك في المبحث المعنون بـ(معركة الشعر المرسل)، وان السبب في معارضته هو ان دعوته هذه قد جاءت في وقت غير مناسب لأن التمسك بالقديم كان مازال قائماً.

وقد ذكر الأستاذ هلال ناجي[٩٦] أحاديث الزهاوي حول فكرة الشعر المرسل التي دعا إليها في الفصل المعنون بـ(الشعر والشعراء عند الزهاوي)، متناولاً الكتب والدواوين والمجلات التي قدم لها الزهاوي بالحديث عن الشعر المرسل وعن القصائد التي نظمها فيه.

نتائج البحث:

لقد توصلت في دراستي هذه إلى مجموعة من النتائج وهي:

١- إن حساسية الشاعر المفرطة ورقة شعوره وروحه الثورية المتجددة والرافضة لكل قديم، جعلت منه شاعراً متمرداً.

٢- لقد كان للحقبة الزمنية التي عاش فيها الزهاوي، وما تبعها من تغيرات وأحداث سياسية واجتماعية، أثر في تكوين نزعة التمرد لديه.

٣- كان المجتمع هو المسؤول بالدرجة الأساس عن تمرد الزهاوي، فضلاً عن التحولات السياسية التي كان لها الدور الفعال في التأثير على نفسيته لعدم تحقيق أحلامه، فكان من الطبيعي ان يتجه إلى التمرد.

٤- إن تمرده على مجتمعه كان بدافع إصلاحه ولإثبات صحة رأيه ومناصرة منه للمرأة في قضيتها، فضلاً عن رغبته في التساوي بين جميع أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات، وأن تمنح المرأة المكانة التي تستحقها في المجتمع.

٥- نتيجة لتمرده فقد أصبح له أعداء وخصوم وقوبل بالسب والشتم والتكفير، مما أدى به إلى أن يعاني كثيراً ويشتد عليه المرض، فضلاً عن قراره الرحيل والسفر خارج العراق.

٦- لم يثبت على موقف معين في القضايا الاجتماعية ولاسيما في دفاعه عن المرأة، وذلك بسبب اشتداد المعارضة وكثرة الخصوم وفقده لوظيفته، وكذلك تغير موقفه إزاء القضايا السياسية، فبعد ان كان يمدح أصبح يهجو ويدعو الناس إلى الثورة، وذلك لتغير موقف الحكام أنفسهم وخيبة أمله فيهم، فضلاً عن رغبته في ان يكسب رضا الشعب، وأيضاً في تمرده الديني يبدو متناقضاً ومتقلباً بين الشك واليقين.

٧- إن تمرده على الشعر القديم ودعوته إلى تبني الشعر المرسل، يجعله في مصاف الشعراء الداعين الى نهضة الشعر العربي وتطوره وتحريره من الجمود الذي اعتراه منذ زمن بعيد، ولاسيما من تلك الموضوعات التقليدية التي أصبحت مكررة ومملة.

الهوامش:

(١) ينظر الزهاوي وديوانه المفقود، هلال ناجي: ٢١ – ٢٣.

(٢) نفسه: ٢٣.

(٣) الزهاوي دراسات ونصوص، عبد الحميد الرشودي: ٢٩.

(٤) الزهاوي وديوانه المفقود: ٢٦.

(٥) الزهاوي دراسات ونصوص: ٢٩.

(٦) شعراء الثورة العراقية أثناء الاحتلال البريطاني في العراق، خضر العباسي:١١٩.

(٧) الزهاوي دراسات ونصوص: ٤٧٥.

(٨) ديوان الزهاوي: ٥٣٦.

(٩) نفسه: ٥٤٨.

(١٠)الزهاوي دراسات ونصوص: ٣٠٩.

(١١)ديوان الزهاوي: ٦٣١.

(١٢)الزهاوي دراسات ونصوص: ٤٠.

(١٣)ديوان الزهاوي: ٤٩٧.

(١٤)نفسه: ٥٥٠.

(١٥)نفسه: ٤١٤.

(١٦)ينظر دراسات في النقد والشعر، ناصر الحاني: ٣٧.

(١٧)الزهاوي دراسات ونصوص: ٣٩٨.

(١٨)مقدمة ديوان الزهاوي: ٧، ٨.

(١٩)الزهاوي دراسات ونصوص: ٣٩.

(٢٠)ديوان الزهاوي: ٣١٦.

(٢١)نفسه: ٤٤٢.

(٢٢)نفسه: ٥٣٩.

(٢٣)نفسه: ٤٢١

(٢٤)المرأة في الشعر العراقي الحديث، أحمد فياض المفرجي: ٢٩.

(٢٥)ديوان الزهاوي: ٤٠٧.

(٢٦)الزهاوي وديوانه المفقود: ١٦٤.

(٢٧)الزهاوي دراسات ونصوص: ٤٠٧.

(٢٨)ديوان الزهاوي: ٤١٧.

(٢٩)نفسه: ٦٨.

(٣٠)نفسه: ٤٤٥.

(٣١)ينظر الزهاوي دراسات ونصوص: ١١٥-١١٧.

(٣٢)ينظر ديوان الزهاوي: ٢٨٦.

(٣٣)ينظر نفسه: ٢٨٦، ٢٨٧.

(٣٤)ينظر المرأة في الشعر العراقي الحديث: ٢٦.

(٣٥)ينظر الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٤.

(٣٦)شعراء الانسانية، خالد سعدون التميمي: ٢٩.

(٣٧)ديوان الزهاوي: ٢١٤.

(٣٨)نفسه: ٣٧٥.

(٣٩)الزهاوي دراسات ونصوص: ٣٦.

(٤٠)ينظر شعر الزهاوي بين ناقديه العراقيين، هاتو الازيرجاوي، رسالة دكتوراه: ٢٢-٢٦.

(٤١)ملامح من المشهد الشعري في العراق، د. علي جعفر العلاق: ٢.

(٤٢)ديوان الزهاوي: ٣٠١.

(٤٣)نفسه: ٢٩٦.

(٤٤)أثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي، د. داود سلوم: ٢٦.

(٤٥)ينظر ديوان الزهاوي: ٩٠، ٩١.

(٤٦)شعراء الثورة العراقية: ١١٩.

(٤٧)مقالات عن الجواهري وآخرين، د. داود سلوم: ١٣٢.

(٤٨)ينظر الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٤-٣٧.

(٤٩)شعر الزهاوي بين ناقديه: ١٠.

(٥٠)نفسه: ١٦.

(٥١)ديوان الزهاوي: ٣٠٥.

(٥٢)ينظر أثر الفكر الغربي: ٢٦، ٢٧.

(٥٣)ينظر الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٠-٣٢.

(٥٤)ديوان الزهاوي: ٢٩٠.

(٥٥)نفسه: ٢٩٢.

(٥٦)ينظر الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٢، ٣٣.

(٥٧)مقالات عن الجواهري وآخرين: ١٧٢.

(٥٨)ديوان الزهاوي: ٨٣.

(٥٩)نفسه: ٨٤.

(٦٠)الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٢٧.

(٦١)نفسه: ٣٣٧.

(٦٢)نفسه: ٨٢.

(٦٣)نفسه: ٦٨.

(٦٤)ديوان الزهاوي: ٧٣٤، ٧٣٥.

(٦٥)الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٤١.

(٦٦)ديوان الزهاوي: ٦٥٦.

(٦٧)نفسه: ٦٠١.

(٦٨)الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٤٠.

(٦٩)الزهاوي دراسات ونصوص: ٣٧٩.

(٧٠)ديوان الزهاوي: ٥٠٨.

(٧١)الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٤٢.

(٧٢)ديوان الزهاوي: ٤٠٨.

(٧٣)الزهاوي وديوانه المفقود: ٣٤٤.

(٧٤)نفسه: ٣٤٨.

(٧٥)نفسه: ٣٣٨.

(٧٦)ديوان الزهاوي: ٤٧٥.

(٧٧)نفسه: ٥١٨.

(٧٨)مقدمة ديوان الزهاوي: ٣.

(٧٩)نفسه: ٤.

(٨٠)الزهاوي دراسات ونصوص: ٣٧٢، ٣٧٣.

(٨١)نفسه: ٣٧٧.

(٨٢)مقالات عن الجواهري وآخرين: ١٦٠.

(٨٣)ديوان الزهاوي: ٧٦.

(٨٤)نفسه: ٦٣٠.

(٨٥)نفسه: ٦٩٠، ٦٩١.

(٨٦)نفسه: ٢٧٠.

(٨٧)دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف: ٧٤.

(٨٨)ينظر ديوان الزهاوي: ٣١-٣٣، ٣٦-٣٩.

(٨٩)ينظر نفسه: ٥٠، ٥٣، ٥٩-٦١، ٦٣، ١٤٥-١٥٤، ١٦٥، ١٦٦، ٣٩٩.

(٩٠)نفسه: ٣٦٥.

(٩١)ينظر دراسات في الشعر العربي المعاصر: ٧٤.

(٩٢)ينظر نفسه: ٨٦.

(٩٣)اضطراب الكلم عند الزهاوي، ابراهيم الوائلي: ١٧٠.

(٩٤) اللباب، جميل صدقي الزهاوي: ٢٨٠.

(٩٥) ينظر الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية: ٦٣-٩١.

(٩٦) ينظر الزهاوي وديوانه المفقود: ١٩٣-١٩٨.

المصادر والمراجع:

١- أثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي، دراسة ونصوص، د. داود سلوم، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر – الكويت، ١٩٨٤.

٢- اضطراب الكلم عند الزهاوي، إبراهيم الوائلي، مطبعة الإيمان، ساعدت جامعة بغداد على نشره – بغداد، ١٩٧١.

٣- دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، ط٢، ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر، ١٩٥٩.

٤- دراسات في النقد والشعر، ناصر الحاني، منشورات المكتبة العصرية،صيدا – بيروت، (د- ت).

٥- ديوان الزهاوي، جميل صدقي الزهاوي، المطبعة العربية بمصر، ١٩٢٤.

٦- الزهاوي، دراسات ونصوص، عبد الحميد الرشودي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٩٦٦.

٧- الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية، عبد الرزاق الهلالي، طباعة شركة المطابع النموذجية، دار الرشيد للنشر – بغداد، ١٩٨٢.

٨- الزهاوي وديوانه المفقود، هلال ناجي، مطبعة نهضة مصر، الناشر دار العرب للبستاني- القاهرة، ١٩٦٣.

٩- شعراء الإنسانية، خالد سعدون التميمي، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ١٩٦٩.

١٠- شعراء الثورة العراقية، أثناء الاحتلال البريطاني في العراق، خضر العباسي – بغداد، ١٩٥٧.

١١- اللباب، جميل صدقي الزهاوي، مطبعة الفرات – بغداد، ١٩٢٨.

١٢- المرأة في الشعر العراقي الحديث، أحمد فياض المفرجي، مطبعة الجامعة – بغداد، ١٩٥٨.

١٣- مقالات عن الجواهري وآخرين، د. داود سلوم، طبع في مطابع دار النعمان بالنجف، ساعدت نقابة المعلمين العراقية على نشره – بغداد، ١٩٧١.

الرسائل الجامعية:

١- شعر الزهاوي بين ناقديه العراقيين، هاتو حميد حسن الازيرجاوي، رسالة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية التربية، ٢٠٠٣.

مصادر الانترنت:

١- ملامح من المشهد الشعري في العراق، د. علي جعفر العلاق،

2005 Al-Imbaratur, Inc. All Rights Reserved.